بريطانيا العظمى والعرب

مركز الحركة العربية

في اواسط القرن السابع مدّ العرب سلطانهم بسرعة غريبة وافتتحوا ما جاورهم من الامصار ونقلوا عاصمة ملكهم من المدينة المنورة الى دمشق الشام فاصبحت محور السياسة العربية

لكن ذلك لم يدم طويلاً اذ في منتصف القرن الثامن اخذت الفكرة العربية تتجه من سورية الى العراق وبعبارة اخرى من مدينة دمشق الى مدينة بغداد

والآن قبل خروج الامير فيصل من دمشق كتب اورمسبي غور احد اعضاء البارلمنت الانكليزي يقول « ان دمشق لا تصلح ان تكون النقطة المركزية للحركة العربية لما في سورية من تنوع الاجناس والاقوام ولذلك فليس يستبعد ان تراها عن قريب منتقلة الى العراق ». وسرعان ما تحققت نبؤة هذا الكاتب عن امتداد الحركة العربية الى بغداد بعد ان كاد ظلها يتقلص من دمشق على اثر خروج الامير فيصل واعوانه والقضاء على الدولة العربية الحديثة التي انشأها هناك

ومنذ اشهر قليلة نشرت الحكومة البريطانية صكوك الانتداب التي بموجبها اصبحت الولايات الثلث المؤلفة من الموصل وبغداد والبصرة مملكة عربية واحدة تحت انتداب بريطانيا العظمى ومراقبة جمعية الامم لمساعدة العرب في انماء ثروة بلادهم الطبيعية والاخذ بيدهم لتعويدهم وتدريبهم على الحكم الذاتي الذي فقدوهُ منذ افتتحها الاتراك سنة ١٥١٦ . او منذ دمرها المغول وخرّبوا مدينة بغداد واتلفوا نظام الريّ فيها سنة ١٢٥٨

وقد وقف اللورد كرزن في البارلمنت البريطاني واعلن في جلسة ٢٥ يونيو الماضي ان الدستور الذي يعطى للعراق يجب ان يستمدَّ من الشعب لكي يكون موافقاً لرغائب الاهلين . والعرب بعد ان خاب رجاؤهم في اعادة عاصمة بني امية الى عزها الماضي وجهوا انظارهم الى عاصمة العباسيين المدينة التي كان لها الشأن الاكبر في تاريخ الحضارة العربية . وقد قام الامير فيصل منذ عهد قريب ذاهباً الى بغداد ليكون ملكاً على العراق اجابة لرغائب سكانه

العراق العربي

يبلغ عدد سكان العراق اليوم بحسب التعداد الذي اجرتهُ الادارة البريطانية هناك ٢٨٥٠٠٠٠ من النفوس وهو يكاد يكون مجموع سكان مدينة بغداد في القرن التاسع حينما كان سكان العراق يزيدون على عشرين مليوناً

اما الاراضي العامرة هناك التي تزرع الآن فلا تزيد مساحتها على مليوني فدان وقد كانت في ايام العباسيين تتجاوز ستة عشر مليوناً . وهذا ما جعل العراق الاهمية العظمى في عيني امبراطور المانيا السابق فاخذ من الحكومة التركية امتيازاتهِ المشهورة ومد سكة حديد بغداد ليجعل تلك البلاد التركية بالامس — العربية اليوم مستعمرة المانية للشعب الالماني الكثير العدد والنماء

وقد اخذ التقدم الحقيقي يظهر في العراق منذ خمدت الثورة وتفاهمت القبائل الثائرة على السلطة العسكرية التي رأت انهُ لم يعد من حاجة لابقاء جنودها هناك بعد ان بلغت نفقاتهم ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه في الاسبوع . وقد قررت الحكومة انسحاب الجيش الهندي باجمعهِ وتحويل النفقات العسكرية الى ما فيهِ خير البلاد واعماء ثروتها فناطت بالجنرال جعفر باشا وزير الدفاع انشاء جيش وطني يأخذ على عاتقهِ حفظ الامن وصيانة البلاد من جهة الشمال واطراف الفرات فيما اذا وقع تعدٍّ من الاكراد او من سكان الحدود المتاخمة للاتراك

ثروة العراق

ينقسم العراق اليوم بحسب خصبهِ الى قطرين اشبه شيء بقسمتهِ في القديم الى مملكتي نينوى وبابل. فالاول يتألف من السهول الخصبة بين الموصل وتكريت والثاني من البلاد التي بين سامرا وخليج فارس وهو يحتل كل البقعة الخصبة بين دجلة والفرات وشرقي البصرة التي يرويها نهر قارون وجميع الاراضي غرب الفرات وجنوبهُ بين نصيرية والنجف . ومتى اصبحت هذه البلاد حكومة منظمة مسؤولة تهتم باحيائها واعمائها فلن يمر عليها زمن طويل حتى تصبح اغنى بلاد العالم في غلاتها من القطن والحبوب وفيما يخرج من ارضها من البترول الذي امسى على آخرهِ في الولايات المتحدة بحسب تقارير شركات البترول هناك . وهذا ما دعا الحكومة الاميركية الى الدخول في سياسة الشرق فقدمت مذكرتها المشهورة عن العراق واستخراج البترول منهُ

ومنابع البترول في العراق تمتد على طول الخط الشمالي الشرقي من البصرة الى حدود بلاد فارس وهو الخط الذي استولت عليهِ اليوم الشركة البريطانية الفارسية. اما منابع البترول الاخرى في شرق الموصل على طول حدود البلاد الكردية وقد منحت حكومة تركيا امتيازاتهِ وهي اليوم في يد شركة البترول التركية. واعلن المستر لويد جورج في مجلس النواب ان جميع حقوق الامتيازات يعود دخلها الى حكومة العراق الوطنية. وهذا يجعلها من اغنى حكومات العالم لشدة الحاجة الى البترول في اوربا واميركا على السواء

(شركة البترول التركية تألفت قبل الحرب براس مال يبلغ ٠٠٠ ١٦٠ جنيه كلها من الاجانب فللشركة الانكليزية الفارسية (انكلو بارجيان) نصف اسهمها ولشركة الانكلوسكسون ربعها والربع الباقي للبنك الالماني (دتش بنك). وقد استولت عليهِ الحكومة البريطانية موقتاً فاصبح اكثر اسهم استخراج البترول من العراق في يد الحكومة البريطانية كما اصبحت جميع منابع البترول ضمن نطاق نفوذها بعد ان كان لدولة فرنسا قسم كبير منهُ. وفي سنة ١٩١٦ حينما كان السر اذورد غراي في كرسي الوزارة الخارجية عقدت معاهدة بين فرنسا وروسيا وبريطانيا بموجبها اصبحت الموصل ضمن نطاق النفوذ الفرنسوي لكن حياة تلك المعاهدة كانت قصيرة جداً اذ لم تدخل سنة ١٩١٨ حتى رأينا النفوذ الفرنسوي يتقلص عن الموصل رويداً رويداً الى ان انحصر في سواحل سورية كما هو معلوم

المؤتمر البريطاني العربي

ان سياسة بريطانيا العظمى مع حلفائها العرب جاءتها بتتابع جمة لانها لم تسمع اقوال الكولونل لورنس صديق العرب الحميم فاستدعتهُ ثانية وقلدتهُ منصب مستشار الامور الشرقية في وزارة المستر تشرشل فكانت فاتحة اعمالهِ عقد مؤتمر بريطاني عربي في مصر لدرس شؤون الشرق الادنى ووضع خطة سياسية تلائم مصلحة اوربا واسيا. وقد رأس هذا المؤتمر المستر تشرشل وزير المستعمرات ومعهُ مستشارهُ الكولونل لورنس وحضرهُ جمهور غفير من الساسة البريطانيين المشتغلين بالمسألة العربية وتمثلت فيهِ حكومة فلسطين وجاءهُ وفد من العراق

خصيصاً لحضور جلسات المؤتمر برآسة الجنرال جعفر باشا وزير الدفاع في حكومة العراق الجديدة

وقد كانت اهم اعمال هذا المؤتمر السعي لاصلاح ما وقع من الخلاف بين بريطانيا والعرب وبكلمة اخرى الرجوع الى سياسة الكولونل لورنس فيما يختص بالمسائل الشرقية العربية . وقد انشأ المؤتمر امارة شرقي الاردن والحقها بالحجاز ونصب الامير عبد الله حاكماً عاماً عليها من قبل جلالة والده الملك ثم قرر تأليف حكومة عربية وطنية في العراق يستدعى الامير فيصل ليكون ملكاً عليها اذا انتخب لذلك . وجعلت عمان نقطة الاتصال الجوية بين لندن وبغداد فتقصير تلك المسافة الشاسعة وتقريب الهند ومواصلاتها . وقد درست مسألة الاتفاقات مع امراء العرب لسيادة السلم في اسيا ويقال انها عاهدت ابن السعود امير نجد وزعيم القبائل المخيمة في اواسط البلاد العربية حيث تمتد سلطتهُ من خليج فارس الى حدود الحجاز

اما الامام يحيى وهو حاكم اليمن الى جنوبي الحجاز بينهُ وبين عدن فهو الزعيم العربي الوحيد الذي لم تستطع بريطانيا حتى الآن ان تعقد معهُ معاهدة ما . لكنها في خلال الحرب قد وفقت الى عقد معاهدة مع الادريسي لكن هذه المعاهدة لم تدم طويلاً . وقد ارسلت وزارة الخارجية في لندن بعثة برآسة الكولونل جيكب ليخابر الامام يحيى ويعقد معهُ بعض الاتفاقات لكن اتباع الادريسي اعترضوا سير هذه البعثة واوقفوها قرب الحديدية ايضاً

والناظر الى خارطة البلاد العربية يجد ان السلم لا يزال مهدداً وان الخطر الاسيوي ليس محلياً كما يتوهم البعض بل هذا الخطر سيكون محور العلاقات بين الشرق والغرب فاما ان ينتهي بصلح وسلام دائمين بين امم اوربا واسيا او بحروب اساسها التنازع على السيادة بين اوربا واسيا . وليست مشاكل اواسط اوربا اليوم الا حوادث محلية في جنب ما تنتجهُ السياسة في اسيا . وعلى علاقات بريطانيا مع هذا الشرق يتوقف عمران الامبراطورية البريطانية . وعلاقات المدنية الغربية مع المدنية الشرقية تتوقف على سياسة بريطانيا العظمى مع شعوب الشرق الادنى

توفيق مفرّج